

## مصير الجبال من منظار قرآني

على سوارى\*

سيد محمد رضا ابن الرسول\*\*

### الملخص

من المنظار القرآني أن الجبال الثوابت المنعوتة بالأوتاد والمثبتة لطبقات الكرة الأرضية ترجف وتتحرك وتُدكُّ وتتلاشى في أحداث يوم القيامة، وفي النهاية تكون هباءً منبثاً. وقد شبّهت في الآيات المراد بحثها بالعهن المنفوش، وقد أخبرنا القادر المتعال عنها في آيات عديدة؛ فتدكُّ الجبالُ كما تُدكُّ الأرض، فتقلع وتسير من مكانها، وتنسف بإذن الله وتكون متفككة متطايرة فلا يبقى منها إلا سراب وقاع صفصف. المحاولة في هذه المقالة هي دراسة الأحداث التي تطرأ على الجبال قبل يوم القيامة وقد ذكرت في آيات عديدة حيث سنبينها بتسلسل مع ذكر اللّمسات البيانية والملامح النحوية الواردة فيها.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، الجبال، يوم القيامة، التعبير البلاغي، الأرض.

### المقدمة

لقد تحدّث القرآن الكريم هذا الكتاب المعجز والخالد في آيات عديدة عن الأحداث المستقبلية التي تحدث للكون بلغة التأكيد بمناسبة عدّة، أبرزها أحداث يوم القيامة وهي كثيرة. من تلك الأحداث ما يطرأ على الجبال ضمن النظام الكوني في ذلك اليوم الرهيب الذي يتبدّل ويتلاشى فيه كلُّ شيء. ومن المنظار القرآني أن للجبال نهاية كما كانت لها بداية، ولنهايتها مراحل قد ذكرت

\* طالب مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أصفهان Ali.Savari44@Yahoo.com

\*\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أصفهان Ibnorrasool@Yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/٤، تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/٢١

في القرآن الكريم ضمن مشاهد القيامة كقوله تبارك وتعالى: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» (الحاقة: ١٤)، وقوله تعالى: «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا» (الواقعة: ٥)، وقوله: «وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً» (المزمل: ١٤)، وقوله: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٥)، وقوله: «وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ٢٠).

من خلال هذه الآيات يرسم لنا البارئ عز وجل المآل والمصير الذي قدّر للجبال في ضمن المجموعة الكونية. النظرة الربانية للجبال نظرة كونية والوصف يشمل جميع جوانبها الوجودية، بداية ونهاية. ولنهايتها مراحل قد ذكرت في بعض كتب التفسير غير متسلسلة بينها في هذه المقالة وفقاً لما جاء في القرآن الكريم. وفيما يختص بالأحداث المستقبلية لترسيم نهاية الجبال سلسلنا البحث وفق الأحداث المرسومة في القرآن وذكرنا من خلال ذلك، الترادف اللغوي واللمسات النحوية والبيانية قدر المستطاع.

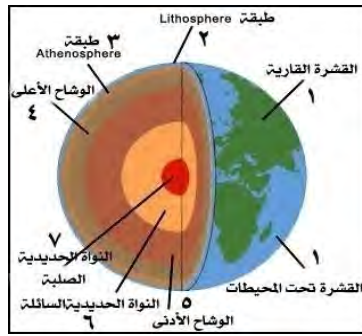
١. رجف الجبال واهتزازها مع الأرض: قال عز من قائل: «وَمَ تَرَجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً» (المزمل: ١٤).
  ٢. دك الجبال: حيث يقول البارئ: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» (الحاقة: ١٤).
  ٣. نسف الجبال: وذلك في قوله: «وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ» (المرسلات: ١٠).
  ٤. بس الجبال: في قوله عز وجل: «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا» (الواقعة: ٥).
  ٥. تطاير الجبال: حيث يقول: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٩). وقوله: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٥).
  ٦. تسيير الجبال: وذلك في قوله: «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» (الطور: ١٠). وقوله: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ٣).
  ٧. صيرورة الجبال سرايا: حيث يقول: «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ٢٠).
- والواقع أن الإخبار عن أحداث المستقبل وترسيم نهاية الكون الواردة في القرآن الكريم خير دليل على خلود إعجاز هذا الكتاب العظيم وصدق رسالة نبينا محمد (ص).

## ١. رجف الجبال واهتزازها

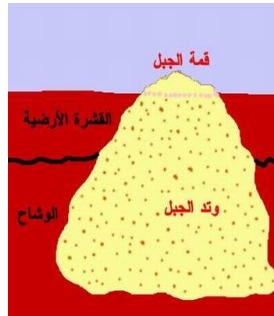
أجمعت جميع المصادر اللغوية عن طريق الإيجاز على أن الجبل «جبل» على وزن «عسل» هو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، من الأعلام والأطوار والشناخيب والأنضاد، فإذا صغر فهو من الآكام والقيران، والجمع أجبل وأجبال وجبال (الفراهيدي، ١٤٠٥: ٦ / ١٣٦).

ووافقہ فی ذلك صاحبُ لسان العرب والجوهری (ابن منظور، ۱۹۸۸: ۱۲ / ۱۶۹؛ الجوهری، ۱۹۸۷: ۴ / ۱۶۵۰).

وفيما يختص بمهمّة الجبال فقد كشف العلم الحديث أنّ الكرة الأرضيّة متكوّنة من طبقات؛ لها سيلان وتحرّك وانزلاق أيضاً، ولولا الجبال لمادت الأرض بأهلها، وانتفى الانتفاع بها، واختلت أمور حياة ساكنيها، كما ذكر ذلك في القرآن الكريم: «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (الأنبياء: ۳۱). وقد كشفت البحوث العلميّة أنّ القشرة الأرضيّة الصلبة التي نعيش عليها لا تمثّل إلاّ طبقة رقيقة جداً، قياساً بما تحتها من طبقات أخرى أعلى كثافة منها وهي «الوشاح». ثمّ عرف الدارسون لعلم الأرض والجبال حقيقة اتزان القشرة الأرضيّة رغم ما تحمله من جبال وتلال ووديان، وأنّ هذا الاتزان لا يتمّ إلاّ من خلال امتدادات من مادّة القشرة داخل نطاق الوشاح؛ والتي لا يمكن أن تمثّل عملياً إلاّ دور الأوتاد في تثبيت الخيمة على سطح الأرض لضمان ثباتها وعدم اضطرابها (نقلًا عن باحفظ الله، ۲۰۱۲: ۳).

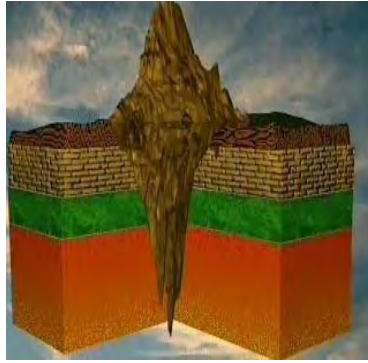


لقد وصفت الجبال في آيات عديدة. منها ما يختصّ بنصب الجبال كالرّواسي والأوتاد والنّسّامخات والأعلام، ومنها ما حول صفاتها، كالألوان والتسبيح والحركة، ومنها ما يختصّ بأهميّة الجبال وفوائدها الماديّة والمعنويّة في الحياة، وكذلك نهاية الجبال المرسومة والمحتومة مع تخريب الكون.



جاء وصف الجبال فى القرآن الكريم مرة واحدة بلفظ «الأوتاد» فى سورة نبا حيث يقول: «ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً» (النبا: ٦-٧). أى أن الجبال تشبه الأوتاد شكلاً؛ إذ إن قسماً من مادة الجبال يغرق فى طبقة القشرة الأرضية. والثانى: أن الجبال تشبه الأوتاد دوراً؛ أى أنها تعمل على تثبيت القشرة الأرضية وتمنعها من أن تميد وتضطرب. جاء فى لسان العرب: «وتد: الودت، بالكسر، والودتُ والودتُ: ما رُزَّ فى الحائط أو الأرض من الخشب والجمع أوتادٌ» (ابن منظور، ١٩٨٨: ١٥ / ٢٠٤).

وقد أثبت العلم الحديث أن الجبال التى فى أسفل الأرض يكون حجمها أكبر من التى فى الأعلى أى مثل الودت. والجبل يشبه الودت شكلاً إذ إن قسماً منه يغرق فى طبقة القشرة الأرضية. وهذه الجبال المثبتة لطبقات الأرض والثابتة والمتراصة تهتز وتتلاشى وتكون كتيبا هائلاً بإذن الله، وذلك فى أحداث يوم القيامة، يقول البارئ عز وجل: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً» (المزمل: ١٤). الكتيب هو الرمل المجتمع كأنه فعيل بمعنى مفعول من كتبت الشيء إذا جمعته. و«مهياً» من هيل هيلاً رخواً ينهال كلما أخذت منه (ابن منظور، ١٩٨٨: ١٠ / ٥٧٣). جاء فى تفسير مجمع البيان حول تفسير هذه الآية: «يوم ترجف الأرض أى: تتحرك باضطراب شديد وترجف الجبال معها أيضاً وتضطرب بمن عليها، وكانت الجبال كتيباً مهياً أى رملاً سائلاً متناثراً» (الطبرسى، ١٣٧٢: ١٠ / ٥٧٣).



فالجبال من المنظر القرآنى تصير فى نهاية الأمر رملاً مجتمعاً، بعد أن كانت قبل ذلك الوقت أحجاراً صلبة كبيرة مترابطة. ويحدث هذا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وتبتلعها تضطرب الجبال وتتزلزل. ويعتبر صاحب أنوار التنزيل اليوم هنا ظرفاً لما فى «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً» من معنى الفعل فهو منصوب بالاستقرار العامل فى «لدينا» الذى هو الخبر فى الحقيقة (البيضاوى، ١٤١٨: ٥ / ٢٥٧). أى اليوم الذى تكون فيه الجبال الصلبة المترابطة لينت رخوة.

ويحدث الارتجاف عندما ترجف الأرض، ومن خلال ذلك ترجف الجبال بتبعها وتهتز اهتزازاً عنيفاً. ومن الملفت للنظر أن ما يقع على الكل، فهو واقع لا محالة على بعضه. والأرض كلّ والجبال بعضٌ من هذا الكلّ. فما يجرى على الأرض فى ذلك اليوم فهو جار على الجبال دون شك.

والسؤال هنا هو إذا كان الأمر كذلك فلماذا عطفت الجبال على الأرض، وقال تعالى ترجف الأرض والجبال، ولو قال تعالى ترجف الأرض لما شك أحد أن الجبال لا ترجف، فلماذا ذكر الجبال وهى أوتاد الأرض؟ والجواب والله أعلم، هو أن الحق سبحانه ذكر الجبال فى هذا المشهد وكذلك فى مشاهد أخرى كى يشعر بهول ذلك اليوم وشدته وقوة ارتجاج الأرض حتى ارتجت أوتادها (الشهود، ٢٠١٠: ٣/٥)، وعندئذ يتلاشى كل شىء. ولعلّ نصب اليوم بنزع الخافض أى: تقع هذه العقوبة فى يوم ترجف الأرض والجبال. أو متعلق بالفعل المقدر لتبعنّ (الصافى، ١٤١٨: ٣٠/٢٢٧). ومن وراء الوعد بالتنكيل يظهر لنا الإعجاز التأثيرى فى نفوس السامعين والسادرين فى ملاهى الحياة الدنيا عليهم يفيئوا إلى الصواب. وهو إعجاز طالما يؤثر على النفوس المؤمنة فى تزويد إيمانها، وعلى النفوس الجاحدة فى الردع عن غيرها.

## ٢. دكّ الجبال

تدكّ الجبال بإذن الله وهذا الدكّ سيكون من أحداث يوم القيامة كما أخبرنا عنها البارئ عزّ وجلّ فى سورة الحاقة وقد عبّر عنها بصيغة الماضى لتحقق وقوع هذا الأمر العظيم بقوله: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» (الحاقة: ١٣-١٥).

والدكّ هو الهدم والكسر، كما جاء فى لسان العرب: «الدكّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دكّه يدكّه دكّاً. و الدكّ كسر الحائط والجبل. وجبل دكّ: ذليل، وجمعه دككّة مثل جحر وجحرة. وقد تدككت الجبال أى صارت دكّاوات، وهى رواب من طين، واحدتها دكّاء» (ابن منظور، ١٩٨٨: «دكك»). ومن ذلك قول السموءل مشيراً إلى دكّ الجبل وهو الطور الذى تلاشى أمام العزيز المتعال:

أَلَسْنَا بَنَى الطُّورِ الْمُقَدَّسِ وَالَّذِي      تَدَخَدَخَ لِلجِبَارِ يَوْمَ الزَّلَازِلِ  
وَمِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَانِ دُكٌّ تَدَلُّلاً      فَشَرَفَهُ الْبَارِى عَلَى كُلِّ طَائِلِ

(عروة بن الورد والسموءل، ١٩٦٤: ١٠٢)

وقول عنترة بن شداد في تهديده لمن تعرّض لعبلة يذكر دكّ الجبل بسيفه مجازاً على سبيل التخييل الحسن:

أَتَذْكُرُ عَبْلَةً وَتَبَيْتُ حَيًّا      وَدُونَ خِيَابِهَا أَسَدٌ مَهْوُلٌ  
وَتَطْلُبُ أَنْ تُتْلِقَ نِيَّيَ وَسَيْفِي      يُدَكُّ لَوْ قَعِهِ الْجَبَلُ الثَّقِيلُ

(عنترة بن شداد، ١٩٨٠: ١١٦)

والأرض بأمر من الله تزلزل وتدكّ دكّة واحدة، وتمدّد مدّ الأديم، وتبقى صعيداً واحداً لا اعوجاج فيه. وممّا لا شك فيه أن الجبال جزء من الأرض وعندما يحدث اهتزاز للأرض تهتزّ الجبال كذلك تبعاً لها، فتدكّ الجبال كما تدكّ الأرض، فتحمّل الجبال وتدكّ مع الأرض كما وصفت في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» (الحاقة: ١٤). وهذا إخبار واقعي عمّا يحدث للكون؛ يعبر عنه القرآن بالصورة المحسّنة المتخيّلة مع تلوين المشهد. وللغرض في ذلك نظر حيث قال: «دكّها زلزلتها، ولم يقل فدكّن لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال فدكّت دكّة لكان صواباً لأنّ الجبال والأرض كالشيء الواحد» (الفراء، د. ت: ٣/ ٦٨٦). ووافق الطوسي بقوله: المعنى حملت الأرض والجبال فصك بعضها على بعض حتى تدك، وإنما قيل: فدكنا لأنه جعل الجبال جملة والأرض جملة (الطوسي، بلاتا: ١٠/ ٩٩).

وقد ذكر حمل الجبال بصيغة المجهول بما فيها من قدرة الباري والملائكة والرياح وهذه هي من أمارات الساعة ومن أحداث يوم القيامة.

فهذا الانقلاب المدمر الذي يصوره هذا المشهد يقع في جوّ من الشّعور بالشّدة والسّعة والحسم، الذي لا مجال فيه لتكرار الحدث الواحد، وهذا ما يوضّحه بقوله تعالى: دكّة واحدة.

إذن فمن أمارات الساعة حمل الأرض والجبال من أماكنها وقلعها ثم الدك، لكي تتحطم وتتكسّر. فعند النفخة الأولى في الصّور والذي يُعلن من خلاله نهاية الحياة الدّنيا تحمّل الأرض وكذلك الجبال وتدكّ دكّة واحدة، كما ذكرت في القرآن الكريم «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» (الفجر: ٢١)، أي زلزلت بما فيها من بناء وجبال وبحار وغيرها «دكّا دكّا» مرة بعد أخرى حتّى لا يبقى فيها ولا عليها شيء (ملاحويش، ١٣٨٢: ١/ ١٥٠). مشهد الانقلاب الهائل المدمر الذي تتحوّل فيه الصورة بين لحظة وأخرى من النقيض إلى النقيض مع توالي الأحداث هو الدكّ بعد الدكّ.

والملفت للنظر هو أنّ هذه السّورة قد صدّرت بذكر أحداث يوم القيامة من النفخ في الصّور

وحمل الأرض والجبال فكل شيء ذى صلابة فى ذلك اليوم يكون واهياً، وأى شيء أصلب من الجبال الرواسى؟ جاء فى تفسير مجمع البيان: «إذا دكَّت الأرضُ دكاً أى كُسر كل شيء على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر حتى زُلزِلت فلم يبق عليها شيء يفعل ذلك مرة بعد مرة» (الطبرسى، ١٣٧٢: ١٠ / ٧٤٠).

والظاهر أن تكرار الدك يفيد التوكيد فحسب، ولكن الواقع غير ذلك لأن فى تكراره تصويراً حسيّاً مجسماً لك أجزاء الأرض جزءاً جزءاً، وتكرار ذلك مرة بعد مرة حتى تفنى. ثم اختيار الدك دون غيره من الأفعال يشعر بأصواته الانفجارية التى تتيجس فى صوت انفجارى.

### ٣. نسف الجبال

ذكر نسف الجبال بلغة التأكيد جواباً لسؤال جاء فى قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» (طه: ١٠٥-١٠٧)، وفى قوله عز من قائل: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِّتْ» (المرسلات: ١٠). والنسف لغةً هو ذرّ الحبوب وغيرها ليتطاير عنها الغبار والزوائد. جاء فى لسان العرب: «نسف: نسفت الريح الشيء تنسفه نسفاً وانتسفته: سلبته، وأنسفت الريح إنسافاً وأسافت التراب والحصى، والنسف: نقر الطائر بمنقاره، وقد أنسف الطائر الشيء عن وجه الأرض بمخلبه ونسفه» (ابن منظور، ١٩٨٨: «ن س ف»). ومنه قول أبى النجم العجلي:

وانتسَفَ الجَالِبَ من أُنْدَابِهِ      إِبْطَانًا المَيْسَ على أَصْلَابِهِ

(العجلي، ٢٠٠٣: «وانتسَفَ»)

والنسف: انتسافُ الريح الشيء، وعندما تنسف الريح الشيء كأنها تسلبه. وكذلك يدل على العضّ والتقطيع والتكديم كما جاء فى قول زهير بن أبى سلمى يصف آثار العضّ فى لية حمار الوحش من نسف الحمير:

فى القَفْرِ يَعْطِفُهَا أَقْبُ تَرَى      نَسْفًا بِلَيْتِيهِ مِنْ الكَدَمِ

(زهير بن أبى سلمى، ١٩٦٤: ٢٧٤)

والقفر هو المكان الخالى من الأرض. وأقب: غير ضامر الخاصرتين. نسف: آثار العضاض من الحمير. ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي حيث يصف أثر أقدام الوليد فى الثرى مستخدماً عبارة النسف بدل الدك:

وَسُفَعًا تُؤِينِ الْعَامَ وَالْعَامَ قَبْلَهُ      عَلَى مَوْقِدٍ مَا يَبِينُهُنَّ دَقِيقُ  
وَمَنْ نَسَفَ أَقْدَامَ الْوَالِدِينَ فِي الثَّرَى      رُسُومٌ تَرَى عَلَيْهَا فَسُوقُ

(حميد بن ثور، ١٩٥١: ٣٤)

وكما هو معلوم أنَّ للجبال أهمية كبرى في تثبيت الأرض، حيث وصفت بالأوتاد والرواسي الشامخات، ومن أجل ذلك شغلت بال الإنسان الجاهلي حيث أخذ يتساءل عن نهايتها وهل تكون ملجأ له ومأوى عند أحداث يوم القيامة؟

تدل هذه الآية على أنَّ هناك تساؤلاً من قبل الصحابة حول الجبال. تقول الرواية: قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف تكون الجبال غداً؟ والسائل هو رجل من ثقيف، فجاء الجواب من السماء: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» (طه: ١٠٥-١٠٧). يقتلعها سبحانه من أصولها ويصيرها غباراً، ويدع أماكنها من الأرض ملساء لا عوج فيها - والمراد به هنا الانخفاض - ولا أمتا وهو الارتفاع البسيط (الطبرسي، ١٣٧٢: ١٠ / ٧٤٠). ويضيف صاحب تفسير تقريب القرآن حول كيفية الجبال في ذلك اليوم بقوله: فَيَذَرُهَا أى يذر الجبال ويجعلها قاعاً أى أرضاً ملساء منكشفة صَفْصَفًا أى مستوية لا علو فيها ولا تنوء، والصَّفْصَف هو: المستوى من الأرض. لا ترى فيها فى ذلك القاع المصنّف المكوّن من الجبال حيث انتشرت على الأرض عوجاً اعوجاجاً بالعلو والانخفاض، ولا أمتاً أى أكمة (الحسيني الشيرازي، ١٤٢٤: ٣ / ٥٠٧).

وفي رأى صاحب تفسير جوامع الجامع يرجع الضمير إلى الجبال وإلى الأرض: «يَنْسِفُهَا رَبِّي» أى يجعلها بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فتذريها وتفرّقها كما يذرى الطعام. «فَيَذَرُهَا»: فيذر مقارها ومراكزها، أو يكون الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر (الطبرسي، ١٣٧٧: ٢ / ٤٣٧). وحول معنى العوج والأمت يقول: العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت: ما ارتفع من الروابي. وأضاف «اليوم» إلى وقت نسف الجبال فى قوله: «يَوْمُئِذٍ» أى يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (المصدر نفسه).

والملفت للنظر أنَّ جميع العبارات التى تدلُّ على التساؤل جاءت دون الفاء إلا فى هذه الآية، لأنَّ المعنى: إن سألوك عن الجبال فقل ...، فتضمّن الكلام معنى الشرط. وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال. وأما تلك الأسئلة التى تقدّمت فكانوا قد سألوا عنها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فجاء الجواب عقب السؤال، فلذلك كان بغير فاء، وفى ما نحن فيه سؤال لم يسألوه عنه بعد (القرطبي، ٢٠٠٠: ١١ / ٢٤٥). وحول معنى النسف المذكور فى الآية يقول القرطبي: يَنْسِفُهَا: يطيرها. «نَسْفًا» أى: يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رملًا يسيل سيلاً،



على سوارى و سيدمحمد رضا ابن الرسول ٩٣

فَيَذَرُهَا: أى يذر مواضعها قاعاً صَفْصَفاً (المصدر نفسه). والقاع المستوى من الأرض، ومن ذلك قول الأعشى:

وكم دون بيتك من صفصف      ودكداك رمل وأعقادها

(فرحات، ١٩٩٢: ٩٧)

وصف بُعد المسافة بينه وبين الممدوح الذى قصده ليستوجب بذلك جائزته. والدكداك: من الرَّمْلِ المستوى. والاعقاد جمع عقدة، وهو المنعقد من الرَّمْلِ المتراكب. وقد نوّه صاحب تفسير الكشاف حول معنى النسف وإرجاع الضمير هل هو للأرض أم للجبال، والفرق بين العوج والعوج بقوله:

العوج بالكسر فى المعانى. والعوج بالفتح فى الأعيان، والأرض عين، فكيف صحَّ فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفسى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، فنفى الله جلَّ وعلا ذلك العوج الذى دقَّ ولطف عن الإدراك؛ اللهم إلا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعانى، فقبل فيه: عوج بالكسر. الأمت: التتوَّ اليسير، يقال: مدَّ حبله حتى ما فيه أمت (الزمخشري، ١٤٠٧: ٨٨ / ٣).

وقوله تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ» (المرسلات: ١٠)، أى قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفاً. وقيل نسفت أذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها أثر فى الأرض (الطبرسى، ١٣٧٢: ١٠ / ٦٢٩). وحول إضافة الوقت لنسف الجبال فى الآية يقول صاحب الكشاف: «أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال فى قوله يَوْمَئِذٍ أى يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة» (الزمخشري، ١٤٠٧: ٨٨ / ٣). وقد أضيف الوقت قبل هذه الآية إلى طمس النجوم وفرج السماء فى الآيتين السابقتين بـ «إذا» الشرطية الظرفية.

## ٤. بسّ الجبال

من أهم الأحداث الطارئة يوم القيامة هو البسّ والتفتت الذى يحصل للجبال المتراكمة والمتراصة. فتطير تلك الجبال وتكون هباءً منبثاً كما ذكرت فى قوله تبارك وتعالى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَأَذِيَّةٍ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا» (الواقعة: ١-٦). والبسُّ مأخوذ من بسّ السويق والدقيق وغيرهما يقال: يُبَسُّ بَسًّا: خلطه بسمن أو زيت، وهى البسيسة. قال اللحيانى: هى التى تلت بسمن أو زيت ولا تبسل. والبسُّ: اتخاذ

البسيصة، وهو أن يُلْتِ السَّوَيْقُ أو الدَّقِيقُ أو الأَقِطُ المطحون بالسَّمْنِ أو بالزَّيْتِ ثمَّ يُؤْكَلُ ولا يطبخ. وقيل هو أشد من اللَّتِّ بللاً، قال الراجز:

لا تَخْبِزَا خَبْزاً وَبَسًّا بَسًّا      ولا تُطْبِخَا بِمُنَاخِ حَبَسَا

(ابن منظور، ١٩٨٨: «ب س س»)

وقائل هذا البيت هو لصُّ من غَطْفَانِ أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن الخبز فبلَّ الدقيق فأكله عجيناً، ولم يجعل البَسَّ من السَّوَيْقِ اللَّيْنِ، والبسيصة الشعير يخالط بالنوى للإبل. والبسيصة: خبز يجفّف ويدق ويشرب كما يشرب السَّوَيْقِ. قال ابن دريد: وأحسبه الذي يسمّى الفتوتُ (السابق: «ب س س»).

جاء في تفسير من وحى القرآن: «إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا فِي مَا يُمَثِّلُهُ الزَّلْزَالُ الَّذِي تَتَحَرَّكُ بِهِ الأَرْضُ، فَتَهْتَرُّ بِشِدَّةِ اهْتِزَازِهَا لَا يَعْرِفُ مَدَاهُ إِلَّا اللهُ وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا أَيْ بَدَأَتْ الجِبَالُ بِالتَّفْتَتِ أَوْ أَخَذَتْ تَتَحَرَّكُ عِنْدَمَا تَفْقَدُ مَوْقِعَ الصَّلَابَةِ فِي وَجُودِهَا، وَتَتَحَوَّلُ بِتَفْتَتِ صَخُورِهَا وَحِجَارَتِهَا إِلَى مَا يَشْبَهُ الغِبَارَ الَّذِي تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَتَبْتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَا يَبْتُ فِي أَيْ مَوْقِعٍ» (فضل الله، ١٤١٩: ٢١ / ٣٢٨). والبسبس يطلق على التفرد والأراضي الخالية من الكلاء والأثر. من ذلك قول المرقش الأكبر:

أَمِنْ آلِ أَسْمَاءِ الطُّلُولُ السَّدَوَارِسُ      يُخَطِّطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفْرٌ بَسَابِسُ

(الضبي، ١٩٩٢: ٢٢٤)

وذكر صاحب إيجاز البيان عن معاني القرآن بقوله: بُسَّتْ: هَدَّتْ أَوْ دَقَّتْ، والبسيصة: هو بل السَّوَيْقِ (النيشابوري، ١٤١٥: ٢ / ٧٩). وجاء في تفسير نور الثقلين حول الآية: «إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا» قال: يَدُقُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا قَالَ: قَلَعَتِ الجِبَالُ قَلْعًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا وَ الهَبَاءُ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الكَوَّةِ مِنْ شِعَاعِ الشَّمْسِ (العروسي الحويزي، ١٤١٥: ٥ / ٢٠٥).

وزاد صاحب تفسير الجديد في تفسير القرآن المجيد بقوله حول الآية: إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا ... أَيْ إِذَا حَرَّكَتِ الأَرْضُ وَهَزَّتْ هَزَّةً عَنِيفَةً وَزَلَزَتْ زَلْزَلَةً شَدِيدًا فَمَاتَ مِنْ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ جَمِيعِ ذَوِي الحَيَاةِ. وَقِيلَ تَرَجَّ بِأَنَّ تَخْرُجَ مَا فِي بَطْنِهَا وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا أَيْ تَفَجَّرَتْ وَتَفْتَتَتْ وَاجْتَتَتْ مِنْ أَصْلِهَا. وَقِيلَ بَسَطَتْ فَكَانَتْ كَالرَّمْلِ الْمُنْبَسَطِ وَكَتْرَابِ السَّهْلِ لَيْسَ فِيهَا تَلَّةٌ وَلَا كَتِيبٌ. فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا أَيْ غِبَارًا مَوْزَعًا (السبزواري النجفي، ١٤٠٦: ٧ / ٨٤). ومنه وقول عبيد بن الأبرص وهو يقف على الأطلال متذكراً وباكياً على فراق الأحبة لديارهم التي خلت من الوحوش والغزلان:

دِيَارُهُمْ إِذْ هُمْ جَمِيعٌ فَأَصْبَحَتْ بَسَائِسَ إِلَّا الْوَحْشَ فِي الْبَلَدِ الْخَالِي

(عبيد بن الأبرص، ۱۹۶۴: ۱۰)

وتبسُّ الجبال الصَّلْبَةُ ذات الصَّخُورِ المتراحة وتفقد تماسكها الداخلي وتساق بإذن الله وتتفرَّق في كلِّ اتجاه عند وقوع الواقعة. جاء في زبدة التفاسير: «إذا بسَّت، بدل من إذا وقعت. وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا وفَتَّت حتى صارت كالسَّويقِ الملتوت. من بسَّ السَّويق إذا لته. أو سيقت وسيَّرت. من: بسَّ الغنم إذا ساقها، كقوله: وسَيَّرتِ الجبالُ. فَكَانَتْ هَبَاءً غباراً مُنْبِثًا منتشرًا» (الكاشاني، ۱۴۲۳: ۱۶/ ۵۶۶). فعند تفتتها تتبدل إلى ذرات صغيرة متناهية في الصَّغر ويحصل هذا عندما تنكسر الجبال وتتلاشى في الفضاء. جاء في سواطع الإلهام في تفسير القرآن: وبُسَّتِ صمصع وكسر أو أمر الجبالُ بسًّا صمصاعا وكسراً أو إمرار كاملاً فَكَانَتْ الأَطْوَادُ هَبَاءً عَصراً كالكلحل مُنْبِثًا (الفيضي الدكني، ۱۴۱۷: ۵/ ۳۴۳). وبسَّ الجبال إرساؤها وتسييرها - «فَكَانَتْ هَبَاءً»: ذرات في الهواء وتفتيتها وبثها فكانت مُنْبِثًا كالعهن المنفوش، أ فهذه الجبال الراسية تتحوّل هباء، بعد ما رست قواعدها في الأرض، وعلت رؤوسها في الهواء؟ أجل ومع الأرض والجبال السَّماء (الصادقي، ۱۳۶۵: ۲۸/ ۶۳).

ومنه قول حسان بن ثابت:

بِالمُسْتَوَى دُونَ نَعْفِ القَفِّ مِنْ قَطْنٍ فَالدَّافِعَاتِ أَلَاتِ الطَّلْحِ وَالضَّالِ  
أَمَسَتْ بَسَائِسَ تَسْتَنُّ الرِّيَّاحُ بِهَا قَدْ أَشْعَلَتْ بِحَصَاها أَيَّ إِشْعَالِ

التنفف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السَّيل. القف: موضع. قطن: جبل بالعالية. الدافعات: مسایل الماء. الطلح والضال: ضربان من الشجر. والبسائس: القفار، الواحد بسبس. تستن: تعدو، تعصف. أشعلت: فرقت (حسان بن ثابت، ۱۹۸۷: ۱۸۹).

وذكر صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن: «وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا» أي فَتَّت فتناً معناه كُسرت كسراً، وقيل قلعت من أصلها، وقيل سَيَّرت عن وجه الأرض تسييراً، وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب، وقيل جعلت كثيباً مهيباً بعد أن كانت شامخة طويلة «فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبِثًا» أي غباراً متفرِّقا كالذي يرى في شعاع الشمس إذ دخل من الكوة (الطبرسي، ۱۳۷۲: ۹/ ۳۲۴). وجميع هذه الأقوال تليق بالمقام بما في المفردة من إحياءات دلالية. ومن ذلك قول العباس بن مرداس حيث يصف قطع المفاوز القفار الخالية من العشب:

سَمَوْنَا لَهُمْ سَبْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نَجُوبٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَفراً بِسَائِسَا

(العباس بن مرداس، ۱۹۹۱: ۹۲)

وكذلك قول النابغة الجعدي في وصفه لقارات الشغور وهي جمع قار، وهو الجبل الصغير المنقطع عن الجبال حيث أصبحت بسابس تشبه الصحارى المقفرة تعوى في أعلامها الثعالب:

فَأَصِيحَ قَارَاتُ الثُّغُورِ بِسَابِسًا      تَجَاوَبُ فِي آرَامِهِنَّ الثَّعَالِبُ

(النابغة الجعدي، ١٩٩٨: ٢٠)

## ٥. تطاير الجبال

سبق أن ذكرنا أن القرآن الكريم يتحدث في مواضع متعددة عن الجبال عند قيام القيامة بأنها تتحرك أولاً، ثم تدك وتتلاشى وأخيراً تصبح بشكل غبار متطاير في السماء. وهذه الحالة الأخيرة تشبهها الآية بالصوف الملون المحلوج. والصوف المتطاير في مهبّ الريح، لم يبق منه إلا ألوان. جاء ذلك في قوله تبارك وتعالى: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٦-٩). ويطلق العهن على الصوف المصبوغ ألواناً (ابن منظور، ١٩٨٨: «ع ه ن») واستعمل لفظ العهن للصوف المصبوغ عند تساقطه في ديار الراحلين جاء في قول زهير بن أبي سلمى:

كَأَنَّ فُتَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ      نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحْطَمِ

(زهير بن أبي سلمى، ١٩٦٤: ٣٩)

والفنا بالقصر: حب في البادية يقال له: عنب الثعلب، وله ألوان، بعضه أخضر، وبعضه أصفر، وبعضه أحمر. والعهنة: شجرة تنبت بالبادية، لها ورد أحمر. هذه آخر مراحل انهزام الجبال. وفي مكان آخر تأتي صفة المنفوش لهذا الصوف: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». هذا التعبير «العهن المنفوش» قد يكون إشارة إلى الألوان المختلفة للجبال، فإن لها ألواناً شتى. العهن الصوف ذو الألوان، والمنفوش: الذي نفش ففرقت شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ريح (المراغى، ٢٠٠٦: ٣٠ / ٢٢٦). أى إن الجبال لتفتتها وتفرق أجزاءها لم يبق لها إلا صورة الصوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلك الجسم الضعيف السريع الانحلال (المصدر نفسه). و المنفوش هو المنشور والمحلوج ويتم ذلك عادة بألة الحليج الخاصة.

وحسب ما وعد به القرآن الكريم بعد اهتزاز الأرض والزلازل العظيم والمدمر تتطاير الجبال، وتكون كالصوف المتطاير في الهواء كما ذكر في قوله تعالى: جاء في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: أى أذكر يوم تكون السماء كالمهل كدردي الزيت وكالفضة المذابة «وَتَكُونُ

الجبالُ كَالْعِهْنِ أَى الصوفِ المصبوغِ ألوانا لقوله وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ۲۷). وجوز بعضهم أن ينتصب يومَ بـ «قريباً» أو بإضمار يقع لدلالة واقع عليه، أو يراد به يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو هو بدل من يوم القيامة فيمن علقه بـ واقع (النیشابورى، ۱۴۱۶: ۶/ ۳۵۸).

والناظر للجبال يُدرك هذه الحقيقة أن الجبال ملوثة، والواقع يشهد بذلك وقد أشار إلى ذلك البارئ عز وجل بقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ۲۷). ونحن نواجه هذه الحقيقة في الطبيعة وهى أن الجبال ذات ألوان، كما نشاهدها فى الحياة حولنا وتعبّر عنها الصور التالية:



قد عبّر القرآن الكريم عن لون الجبال بالألوان الأصلية كالجدد والبيض والحمر. والجُدُد هى جمع جُدَّة، ومعناها: الخطة السوداء فى متن الحمار تخالف لونه (ابن منظور، ۱۹۸۸: «ج د د»). وأمّا الجبال الصمّ الصلاب وهى أكبر ركائز الثقة والنبات فتتفرق وتكون كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ، أى: كالصوف المنفوش، الذى بقى ضعيفاً جداً، تطير به أدنى ریح. قال تعالى: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ» أى عند تطايرها تظهر للرائى أنّها ملوثة.

جاء فى تفسير فى ظلال القرآن: «ثم أجاب بسؤال التجهيل: (وما أدراك ما القارعة؟) فهى أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلمّ بها التصور! ثم الإجابة بما يكون فيها، لا بما هيتهى. فما هيتهى فوق الإدراك والتصور «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ». هذا هو المشهد الأول للقارعة. مشهد تطير له القلوب شعاعاً، وترجف منه الأوصال ارتجافاً. ويحس السامع كأن كلّ شىء يتشبه به فى الأرض قد طار حوله هباء! ثم تجىء الخاتمة للناس جميعاً» (سيد قطب، ۱۹۷۱: ۶/ ۳۹۶۱).

ونجد التشبيه المرسل المجمل فى قوله تعالى: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ»، حيث شبّه الجبال بالصوف الملوّن بالألوان المختلفة المندوف، فى تفرّق أجزاءها وتطايرها فى الجوّ، حسبما نطق به قوله تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» (الصافى، ۱۴۱۸: ۳۰/ ۳۹۴). وقد صرح القرآن الكريم حول ألوان الجبال بعد أحداث القارعة وتطاير الناس كالفرش

ومن ثمّ نفش الجبال حيث يقول: «الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ١-٥). وهذا الآية تثبت لنا أنّ الجبال ملوّنة كما جاء في القرآن الكريم في مكان آخر «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). فعندما تطلع الجبال من أماكنها وتتطاير يظهر لون الجبال وكأنّه الصوف المصبوغ. والعُهْنُ: هو الصوف المصبوغ باللون الأحمر، وقيل: هو المصبوغ ألواناً. وفي قراءة ابن مسعود: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ».

و (الْمَنْفُوش) هو المفرقّ بعض أجزائه عن بعض؛ لِيُغْزَلَ، أو تُحْشَى به الحشايا، فعندما يُضْرَب بالعصا، تتطاير أجزاءه. وواقفه ابن عطية بقوله: والفنا: عنب الثعلب، وحيه قبل التحطم منه الأخضر والأحمر والأصفر، وكذلك الجبال جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَسُودٌ وَصَفْرٌ، فجاء التشبيه ملائماً، وكون الجبال كالعُهْنِ، إنما هو وقت التفتيت قبل النسف (ابن عطية، ١٤٢٢: ٥/٥١٧).

ووجه التشبيه بين الجبال، والعهن المنفوش: أنّ من الجبال؛ كما قال الله تعالى: «جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). فهي مختلفة الألوان بحجارتها ونبتها، وكذلك الصوف مختلفة ألوانه. فهي تشبهه من هذا الوجه. ثم هي تشبهه من وجه آخر، وهو أنها إذا بُسَّتْ، طُيِّرَتْ في الجو؛ كما يتطاير الصوف المنفوش. يقول صاحب تفسير التنوير والتحوير: «إعادة لفظ الكون (وَتَكُونُ ... وَتَكُونُ) مع حرف العطف، للإشارة إلى اختلاف الكونين؛ فإنّ أولهما كون إيجاب، والثاني كون اضمحلال، وكلاهما علامة على زوال عالم، وظهور عالم آخر. وقيل: كرر ذلك؛ لأن التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير وجملة: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ معترضة بين جملة يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وجملة: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ» (القارعة: ٦) إلخ. وهو إدماج لزيادة التهويل (ابن عاشور، محمد، ج ٣٠/ ٤٥١).

وقال تعالى هنا: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٣). وقال في موضع آخر: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٩). فأتى بالعهن موصوفاً بالنفش في الآية الأولى، وأتى به غير موصوف به في الآية الثانية. فما سرّ البيان في ذلك؟ ويجب عنه بأن الغرض من هذا التشبيه في سورة القارعة هو غيره في سورة المعارج.

وبيان ذلك: أنّ القارعة هي من القرع، القرع: قرع الرأس وهو أن يصلع فلا يبقى على رأسه شعر (ابن منظور، ١٩٨٨: «قرع»). وهو ضرب جسم بأخر بشدة لها صوت، فناسب أن يذكر معها من أحوالها في ذلك اليوم المهول ما يوهن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبتوث، ويفكك ترابط الجبال وتماسكها إلى هباء العهن المنفوش. فشبهه تعالى أحوال الناس في ذلك اليوم في كثرتهم وحيرتهم واضطرابهم وانتشارهم في كل جهة بالفراش المبتوث. ثم شبه الجبال

فى اختلاف ألوانها وتفكك أجزائها وتطايرها هباءً فى الجو بالصّوف المنفوش ، فناسب بين المشبّه، والمشبّه به من جهة، ثم ناسب بين التشبيه فى الصّورة الثانية، والتشبيه فى الصّورة الأولى، فقال سبحانه : «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (القارعة: ٤-٥).

ووجه التشبيه بين الجبال والعهن من منظر آخر هو أن الجبال فى ثقلها وتماسك أجزائها واختلاف ألوانها، تصير فى ذلك اليوم واهية خفيفة مفككة الأجزاء تتلون بألوان مختلفة؛ كالعهن فى ضعفه وخفته وتفرق أجزائه واختلاف ألوانه. وليس المراد هنا تطاير أجزائها فى الجو - كما فى القارعة - ولهذا أطلق لفظ العهن هنا دون قيد، وقيد هناك بالوصف والتشبيه المرسل المجمل فى قوله تعالى «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». فهذا ليس مجرد تنويع فى التعبير بل الحقيقة أن السياق يختلف فى المرتين. وليس طريقة تقريرية وإنما يرسم صورة فنية من خلال الواقع.

أما فى سورة المعارج فقد ذكر تعالى من أحوال ذلك اليوم الذى وصفه بقوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (المعارج: ٤). ما يحيل بناء السماء ولونها، إلى صورة المهمل المذاب ولونه، ويحيل تماسك الجبال وثقلها وألوانها، إلى وهن العهن الخفيف وألوانه. فشبه السماء فى ذلك اليوم بالمهمل، وشبه الجبال بالعهن، فناسب بين المشبّه والمشبّه به من جهة، ثم ناسب بين التشبيه فى الصّورة الثانية، والتشبيه فى الصّورة الأولى، وذلك فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاوَاتُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (المعارج: ٨-٩). واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال: «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧). ثم إنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التآليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابها للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً، وهاهنا مسائل ثلاثة:

- المسألة الأولى: إنما ضمّ بين حال الناس و بين حال الجبال، كأنه تعالى نبّه على أن تأثير تلك القرعة فى الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربّه، هذا ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حرمتها.

- المسألة الثانية: قد وصف الله تعالى تغيير الأحوال على الجبال من وجوه أولها: أن تصير قطعاً، كما قال: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» (الحاقة: ١٤). وثانيها: أن تصير كنيباً مهياً، كما قال: «وَيَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَنِيبًا مَهِيلاً» (المزمل: ١٤)، ثم تصير كالعهن المنفوش، وهو الصّوف المتخلخل المتطاير الملون فى الجو: فى الأخير تصير سراباً، كما قال: «وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ٢٠).

- المسألة الثالثة: لم يقل: يوم يكون الناس كالفرش المبتوث، والجبال كالعهن المنفوش بل قال: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» لأن التكرير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير (الرازي، ١٤٢٠: ٣/٢٦٧). وقوله تعالى «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» أي كالصوف الملون المندوف لتفرق أجزائها وخفة سيرها (شبر، ١٤١٢: ٦/٤٤٤). وقوله سبحانه بيان لحالة أخرى من الأحوال التي يكون عليها هذا الكون يوم القيامة.

يقول صاحب التفسير الوسيط: «والمتمأمل في هذه الآيات الكريمة، يراها قد اشتملت على أقوى الأساليب وأبلغها، في التحذير من أهوال يوم القيامة، وفي الحض على الاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح؛ لأنها قد ابتدأت بلفظ القارعة المؤذن بأمر عظيم، ثم تلت بالاستفهام المستعمل في التهويل، ثم أعادت اللفظ بذاته بدون إضمار له زيادة في تعظيم أمره، ثم جعلت الخطاب لكل من يصلح له، ثم شبهت الناس فيه تشبيهاً تشعراً منه الجلود، ثم وصفت الجبال - وهي المعروفة بصلابتها ورسوخها - بأنها ستكون في هذا اليوم كالصوف المتناثر الممزق» (الجوهري الطنطاوي، ١٩٩١: ١٥/٤٩٠). وهذا من دأب التعبير القرآني حيث يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني.

## ٦. تسيير الجبال

سبق أن الجبال ثابتة الأرض وهي بمثابة الأوتاد لها، وهذه الجبال الثقال والرواسي الصلبة في نهاية الأمر تسيير من مكانها وتصير سراباً، وذلك في قوله: «وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبا: ٢٠)، أي تُسَف الجبال فتحتت من أصولها، فتصير هباءً منبثاً، لعين الناظر فتصير بعد تسييرها مثل سراب فتري بعد تفتتها وارتفاعها في الهواء كأنها جبال وليست بجبال بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل ومن جهة المدلول البلاغي قد استخدم النص القرآني الفعل الماضي للأحداث المستقبلية بدل المضارع وهذا يدل على تحقق الحدث يقيناً. وهذه الجبال العظام والصلبة تسيير بإذن الله من مكانها، وهذه من أحداث يوم القيامة، حيث يقول تبارك وتعالى: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ» وقوله: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا، وَتَسَيِّرُ الْجِبَالَ سَيْرًا» (الطور: ٩-١٠). وقوله: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ٣).

لما ذكر تعالى ما يؤول إليه حال الدنيا من النقاد، أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة، فقال: عز وجل: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٨-٤٩). مما لا نشك فيه أن نظام هذا العالم الدنيوي ينفك ويتلاشى بإذن الله، ويؤتى بالعالم الأخرى كما تشير إليه الآياتان الكريمتان من سورة الكهف، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما



ذكر فى الآيات التى سبقتهما ما يؤول إليه أمر الدنيا من النفاذ والهلاك، أعقب سبحانه ذلك بذكر بعض مشاهد يوم القيامة، فذكر من هذه المشاهد: تسيير الجبال فى ذلك اليوم المهول. وبروز الأرض. وحشر الناس للحساب جميعاً بعد خروجهم أحياء من قبورهم الطينية؛ كما خرجوا منها أول مرة. وينتقل سبحانه من هذا الحشر الجامع للخلائق إلى الحديث عن عرضهم على الرب جلّ وعلا. ومن ثمّ يتوجّه سبحانه بالخطاب إلى المكذبين بالبعث والمنكرين له خاصّة له بقوله سبحانه: «لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٩). وفى ضمنه تفرّيعهم وتوبيخهم. وقوله تعالى بعد تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال يظهر الذى هو افجع منها وهو علم النفس بما كسبت وذلك فى قوله تبارك وتعالى: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» (التكوير: ١-٣).

وقد كثر فى القرآن ذكر حال الجبال يوم القيامة فقال: «وَتَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» (النمل: ٨٨)، وقال: «وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا» (المزمل: ١٤)، وقوله تبارك وتعالى: «وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ٢٠)؛ كل ذلك ليبين أن هذه الأجسام العظيمة التى من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة، فما بالك أيها المخلوق الضعيف الذى لا قوة له؟ وفى هذا تحذير للإنسان وتخويف له كما لا يخفى وبعد أن ذكر أوصاف هذا اليوم بما يكون من أحوال بعض الخلائق، أعقب ذلك بذكر الجزاء على الأعمال (آل سعدى، ١٤٠٨: ٣٠/٢٢٧).

## ٧. صيرورتها سراباً

الجبال الصلبة والمتكونة من الصّخور والمعادن والنابتة فى أعماق الأرض تتلاشى فى نهاية المطاف بإذن الله وتسيّر وتكون فى نهاية الأمر كالسراب كأن لم تكن شيئاً وذلك فى قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» (النبأ: ١٨-٢٠).

نلمس التشبيه البليغ فى قوله تعالى: «وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» حيث شبه الجبال بالسراب، وحذف الأداة ووجه الشبه، والجامع أن كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شىء وليس هو بذلك الشىء (مغنية، ١٤٢٤: ١/٣٨٦). فالكلام على التشبيه البليغ والجامع أن كلا من الجبال والسراب يتراءى للناظر وليس هو شىء والسراب هو الذى يظن من يراه من بعيد أنه ماء، وهو فى الحقيقة هباء، وهذا من قبيل قوله تعالى: «كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ» (النور: ٣٩). انظر كيف يحول التعبير القرآنى المعنى

المراد إلى صورة محسنة ماثلة أمام عينيك وقوله فيما سيقع فى المستقبل للسماء والجبال حيث تمور السماء وتسير الجبال: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» (الطور: ٩-٨). والأرض تزلزل وتذك دكة واحدة، وتمد مد الأديم، وتبقى صعيداً واحداً لا اعوجاج فيها، ويقبضها الله ويمسكها بأصبع، والجبال تسير، وتنشق وتتحول إلى كتيب مهيل وعهن منفوش، وتزال الجبال من مواضعها وتُسوى الأرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، قال البارئ عزوجل فى شأن هذا اليوم: «وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» (الكهف: ٤٧-٤٨). أى اذكر يوم نسير الجبال فى الجو كالسحاب - وهو عند قيام القيامة - وترى الأرض بارزة لا يسترها شىء، جبل ولا غيره وحشرنا وجمعنا الناس للحساب فلم نغادر ولم نترك منهم أحداً (الحسينى الشيرازى، ١٤٢٤: ١/ ٣١١). يجد القارئ الريشة المعجزة فى رسم المشاهد الكونية فى تصوير هائل مخيف من الجبال والأرض والتصوير من المحشر وكيفية عرض الناس.

ويوم نسير الجبال يشير سبحانه بهذا إلى أهوال يوم القيامة، وأنه يقتلع الجبال من أماكنها، ويسيرها فى الجو كالسحاب وترى الأرض بارزة بادية ظاهرة لا حجر ولا شجر ولا بناء وخباء يحجب الأبصار (مغنية، ١٤٢٤: ١/ ٣٨٦). وبعد تسيير الجبال تبرز الأرض إما مما عليها أو من باطنها (شبر، ١٤١٢: ١/ ٢٩٤). لأن الأرض تلقى ما فيها وتتخلى.

وهكذا يتضح من خلال الشواهد والأمثلة التى أتينا بها، قوة التصوير القرآنى حول الجبال وهى صورة التوحيد ومدى تأثيرها فى النفس الإنسانية فى إيصال المعانى التى يهدف إليها الإعجاز التأثيرى فى جانب الإعجاز العلمى ما لا قبل لبشر بالإتيان بمثله. لأن البيان البشرى مهما بلغ من درجة البلاغة فهو سطوح مستوية، وبيان القرآن قمم متدرجة فـ «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (الفرقان: ١).

وفى الختام نحب أن ننوه إلى أننا لم نذكر آراء جميع المفسرين احترازاً عن التطويل وكان هذا تفادياً للإضافات غير المجدية والله المستعان.

## النتيجة

جاءت نتائج البحث بجوانب عديدة لتبيين نهاية الجبال من منظار القرآن مع وحدة موضوعية شاملة تلم بأطرافها؛ تتمحور حول الجوانب الموضوعية والجوانب الفنية، آخذة بعين الاعتبار الدلالات اللغوية واللمسات البيانية والملاحم النحوية. وأهم النتائج التى وصلنا إليها من خلال البحث هى:

على سواری و سید محمد رضا ابن الرسول ۱۰۳

۱. للجبال نهاية محتومة ومختومة كما لها بداية قد رسمها القرآن لنا فى بعض آياته من النَّصْب إلى النَّسْف بما فى ذلك من تنويع المشهد وتلويحه.
۲. قد ذكر القرآن نهاية الجبال بصيغة الماضى فى كثير من المواضع، وهذا يدل على حتمية وقوع هذا الأمر الرهيب.
۳. من المفسرين من يعتقد أن حركة الجبال تشير إلى الحوادث التى تقع بين يدي القيامة، لأننا نعرف أنه فى نهاية هذه الدنيا تقع زلازل وانفجارات هائلة، وتتلشى الجبال وتتفصل بعضها عن بعض، وقد أشير إلى هذه الحقيقة فى السور الأخيرة من القرآن كراراً. ووقوع الآية فى سياق آيات القيامة دليل وشاهد على هذا التفسير.
۴. هناك علاقة قائمة بين الألفاظ المستخدمة لأحوال الجبال وما تنتجه من طاقة دلالية كالذِّكِّ والنَّسْف والبسِّ والبثِّ.
۵. لنهاية الجبال مراحل عديدة بداية من الرَّجْف مع الأرض حتَّى النَّسْف والتطير ثم تكون كالسراب كأن لم تكن شيئاً.
۶. الجبال ملوَّنة وألوانها تدلُّ على الموادِّ المعدنيَّة فيها ويظهر ذلك أكثر وضوحاً عندما تكون كالعهن المنفوش.
۷. الجبال تتحرَّك كما وصفها القرآن، ولها عدَّة حركات، ولكنَّها تتراءى للرئى ثابتة جامدة وهى تمرُّ مرَّ السَّحاب.
۸. تخريب الجبال ودكِّها وقلعها يدلُّ على تخريب الكرة الأرضية، لأنَّ الجبال تعتبر ثوابت لها كما وصفت بالأوتاد والرواسى.
۹. للإعجاز التأثيرى إلى جانب الإعجاز اللغوى والبيانى فى ذكر أحداث يوم القيامة، الدور الأكبر لما جاء به القرآن الكريم فى تعديل سلوكيات الانسان مؤلفاً بين الغرض الدِّينى والغرض الفنى.

## المصادر

القرآن الكريم.

آل سعدى، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٠٨ هـ). تيسير القرآن الكريم، بيروت: مكتبة النهضة العربية.

ابن عاشور، محمد بن طاهر (د.ت). التحرير والتنوير، م، د.ن.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسى (١٤٢٢ هـ). المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام

عبد الشافى محمد، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٨٨ م). *لسان العرب*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
 الأعشى، ميمون بن قيس (١٩٩٢ م). *ديوان ميمون بن قيس*، شرح يوسف شكرى فرحات، بيروت: دار الجبل.  
 الآلوسى، شهاب الدين السيد محمود (١٩٨٠ م). *تفسير روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ط ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
 باحفظ الله، حسن (٢٠١٢ م). «الجبال أوتادا»، *مجلة الإعجاز العلمي الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة* (١)، على موقع:

مجلة - الإعجاز - www.alkotla.info/vb/showthread.php?18716

البيضاوى، عبدالله بن عمر (١٤١٨ هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
 الجوهري، اسماعيل بن حماد (١٩٨٧ م). *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.  
 الجوهري الطنطاوى، سيد محمد (١٩٩١ م). *الجواهر فى تفسير القرآن الكريم* (تفسير الجوهري)، ط ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

حسان بن ثابت الأنصارى (١٩٨٧ م). *ديوان حسان بن ثابت*، بيروت: دار بيروت.  
 الحسينى الشيرازى، سيد محمد (١٤٢٤ هـ). *تقريب القرآن إلى الأذهان*، بيروت: دار العلوم.  
 حميد بن ثور (١٩٥١ م). *ديوان حميد بن ثور*، صنعه عبد العزيز الميمنى، القاهرة: الدار القومية.  
 الرازى، فخر الدين محمد بن عمر (١٤٢٠ هـ). *مفاتيح الغيب*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
 زهير بن أبى سلمى (١٩٦٤ م). *ديوان زهير بن أبى سلمى*، بيروت: دار صادر.  
 الزمخشري، محمود بن عمر (١٤٠٧ هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، بيروت: دار الكتاب العربي.  
 السيزوارى النجفى، محمد بن حبيب الله (١٤٠٦ هـ). *الجديد فى تفسير القرآن المجيد*، بيروت: دار المعارف.  
 سيد قطب، محمد بن إبراهيم الشاذلى (١٩٧١ م). *فى ظلال القرآن*، بيروت: دار الشروق.  
 شبر، سيد عبدالله (١٤٠٧ هـ). *الجواهر الثمين فى تفسير الكتاب المبين*، قدم عليه سيد محمد بحر العلوم، الكويت: مكتبة الألفين.

الشحود، على بن نايف (٢٠١٠ م). *الإعجاز اللغوى والبيبانى فى القرآن الكريم*، المكتبة الشاملة، القرص الكمبيوترى، الإصدار ٣، رياض المملكة العربية السعودية: مجمع الأبحاث الإسلامية.  
 الصادقى، محمد (١٣٦٥ هـ.ش). *الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن*، ط ٢، قم: فرهنگ اسلامى.  
 الصافى، محمود بن عبد الرحيم (١٤١٨ هـ). *الجدول فى إعراب القرآن*، ط ٤، دمشق - بيروت: دار الرشيد مؤسسة الإيمان.  
 الضبى، المفضل بن محمد (١٩٩٢ م). *المفضليات*، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، ط ٦، القاهرة: دار المعارف.

الطبرسى، الفضل بن حسن (١٣٧٢ هـ.ش). *مجمع البيان*، قدم عليه محمد جواد بلاغى، تهران: ناصر خسرو.  
 الطبرسى، الفضل بن حسن (١٣٧٧ هـ.ش). *جوامع الجامع*، تهران: دانشگاه تهران.  
 الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٨٨ م). *جامع البيان عن تأويل آى القرآن*، بيروت: دار الفكر.  
 الطوسى، محمد بن حسن (د.ت). *التبيان فى تفسير القرآن*، تحقيق أحمد قصير العاملى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

على سوارى و سيد محمد رضا ابن الرسول ١٠٥

- العباس بن مرداس (١٩٩١ م). ديوان العباس بن مرداس، تحقيق يحيى الجبوري، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عبيد بن الأبرص (١٩٦٤ م). ديوان عبيد، بيروت: دار صادر.
- العجلي، أبو النجم (٢٠٠٣ م). ديوان، الموسوعة الشعرية، الإصدار ٣، القرص الكمبيوترى، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.
- عروة بن الورد والسموأل (١٩٦٤ م). ديوانا عروة بن الورد والسموأل، بيروت: دار صادر.
- العروسى الحويزى، عبد على جمعة (١٤١٥ هـ). تفسير نور الثقلين، قم: إسماعيليان.
- عنتر بن شداد (١٩٨٠ م). ديوان عنتر بن شداد، تحقيق فوزى عطوى، بيروت: دار صعب.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (د. ت). معانى القرآن، تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد على نجار وعبد الفتاح إسماعيل شلب، القاهرة: دار المصريه للتأليف والترجمة.
- الفراهيدى، الخليل بن أحمد (١٤٠٥ هـ). كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائى، قم: دار الهجرة.
- فرحات، يوسف شكري (١٩٩٢ م). شرح ديوان الأعشى، بيروت: دار الجيل.
- فضل الله، السيد محمد حسين (١٤١٩ هـ). تفسير من وحى القرآن، بيروت: دار الملاك.
- الفيضى الدكنى، أبو الفضل (١٤١٧ هـ). سواطع الإلهام فى تفسير القرآن، تحقيق سيد مرتضى آية الله زاده شيرازى، بيروت: دار المنار.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى (٢٠٠٠ م). الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكاشانى، ملا فتح الله (١٤٢٣ هـ). زبدة التفاسير، قم: بنىاد معارف اسلامى.
- المراغى، أحمد مصطفى (٢٠٠٦ م). تفسير المراغى، بيروت: دار الفكر والنشر.
- مغنية، محمد جواد (١٤٢٤ هـ). تفسير الكاشف، تهران: دار الكتب الإسلامية.
- ملاحويش آل غازى، عبدالقادر (١٣٨٢ هـ). بيان المعانى، دمشق: مطبعة الترقى.
- الناطقة الجعدى، قيس بن عبدالله (١٩٩٨ م). ديوان الناطقة الجعدى، تحقيق واضح الصمد، بيروت: دار صادر.
- النيشابورى، محمود بن أبى الحسن (١٤١٥ هـ). إيجاز البيان عن معانى القرآن، تحقيق حنيف بن حسن القاسمى، بيروت: دار الغرب الإسلامى.
- النيشابورى، نظام الدين حسن بن محمد (١٤١٦ هـ). تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق شيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية.